الغطرسة الصهيونية : جذورها ووظيفتها

نزيه قوره

درجت معظم الدراسات التي تناولت الجوانب المختلفة لمسلك اسرائيل في المجالات السياسية والعسكرية والدعائية والايديولوجية ، على محاولة اثبات زيف وبطلان الادعاءات الصهيونية ، قياسا على المنطق والقانون ومبادىء الامم المتحدة وشرعة حقوق الانسان . ونستطيع ان نجد مئات المقالات والدراسات والكتب التي تأتي بمئات الادلة والبراهين والاستشهادات لتثبت مثلا ان اسرائيل تنتهك حقوق الانسان في الارض المحتلة أو تستهتر بميثاق الامم المتحدة او تمنح نفسها حق الاعتداء على الدول المجاورة وسكانها المدنيين الامنين ، او تصدر قوانين تتنافى مع مبادىء العدالة ، او هي تزور التاريخ .

ان اسوأ مظاهر المواجهة مع العدو الصهيوني هو نظرتنا الى أنفسنا كمحامين نقوم بمرافعة حقوقية أمام محكمة كونية مطلقة الحياد . وكان أسوأ مستند قدمناه في مرافعتنا هذه هو مشاهد البؤس والتعاسة والبطالة التي يحياها شعبنا والتي كان العدو يخرج منها باستنتاج واحد : هؤلاء لا خطر منهم ولا بأس من تجاهلهم .

ان المطلوب الان ، في ضوء النتائج التي أسفرت عنها حرب تشرين ، ليس ايراد الشواهد والبراهين على غطرسة العدو الصهيوني واستهتاره بحقوق شعبنا وبمبادىء الامم المتحدة وشرعة حقوق الانسان ، بل البحث عن جذور هذه الغطرسة **والوظيفة** التي لعبتها هذه الغطرسة ، وستستمر في تأديتها ، ضمن استراتيجية العدو .

يجب ان نؤكد اولا ان الغطرسة الصهيونية ليست مطلقة ، أي انها ، كما تتجلى في كتابات مفكري الحركة الصهيونية ، التي هي حركة علمانية بالاساس ، لا تنسحب على علاقة اليهود بكافة شعوب الارض ، وبشكل خاص عندما يتعلق الامر بالشعوب الاوروبية . وعندما كتب هرتسل مخاطبا آل روتشيلد « ... يجب ان ننسحب من اوروبا ، لن نستطيع البقاء هنا بعد أكثر »(١) كان يعبر عن مشاعر الطبقة الوسطى اليهودية التي فقدت توازنها امام نمو الاحتكارات في اوروبا . وكان هرتسل متخوفا من نتائج الاعمال الخيرية التي يقوم بها بعض الاثرياء اليهود لفقراء اليهود ، وهذا التخوف لا يدل على ان الرجل يشعر بالانتماء الى عنصر متفوق . يقول هرتسل في حديثه لهيرش، وهو أحد المحسنين اليهود الكبار : « هناك ، اول كل شيء ، فكرة الاحسان ، التي أعدها خطأ كبيرا . انك بها تنشيء جيلا من المتسولين . اذ ليس هناك شعب أكثر من اليهود اتكالا على التسول وتأثرا بالاحسان »(٢). ومن ناحية ثانية كان هرتسل يدرك ادراكا عميقا ان اقامة دولة يهودية في أي مكان تتطلب تبني دولة كبرى لهذه الدولة اليهودية ، وادرك بحسه العملي ان هذا لن يتم الا اذا رأت الدولة الكبرى في اقامة دولة يهودية ، مصلحة اساسية لها تغطي بمردودها تكاليف الجهود السياسية والاقتصادية التي ستبذلها الدولة الكبرى في اقامة الدولة اليهودية . وقبل الوصول الى سياسيي الدولة الكبرى سعى هرتسل الى الحصول على توصية من مرجع استعماري له خبرة في مجال استعمار بلدان الشعوب الفقيرة . ولم يجد خيرا من